البلاغة في كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان
لمحمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي
المعروف بالحافظ التنسي ت899 من الهجرة

الدكتور/ بشير كوحيل
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة باجي مختار – عنابة–

عرفت مدينة **تلمسان** عاصمة بني زيان حركة فكرية ولغوية وأدبية ذاع صيتها مغربا ومشرقا منذ مطلع القرن السادس الهجري، وقد كان من أسباب ازدهارها تلك العلاقات التي أقامتها المملكة مع البيئات المغربية ممثلة في الأندلس وبلاد إفريقية ومع بيئات المشرق خاصة مصر وبلاد الحجاز والشام.

إن تلك الحركة يمكن اعتبارها دليلا على مدى ما أسهم به علماء تلمسان في الثقافة العربية بمختلف أصنافها **من أدب ولغة وبيان وتاريخ** .ولعل ما حواه كتاب التنسي" **نظم الدر والعقيان** "وهو من المؤلفات التي حاولت التأريخ لبني زيان

- من شأنه أن يبرز الصورة الحقيقية التي بلغتها الثقافة في ظل المملكة الزيانية ويدل على الإسهام الحقيقي لعلمائها في شتى مجالات العلوم والمعارف.

إن هذا التناول سيقتصر على **الجانب البلاغي في الكتاب**، وسيكون توزيع الخطة فيه يراعي المضمون العام الذي أقام عليه التنسي الفكرة العامة لمؤلفه ذي الطابع التاريخي البشري. لذلك فإن بنية الخطة ستكون كالتالي:

1- التعريف بالحافظ التنسي.

2- أساتذته.

3- مؤلفاته .

4- البلاغة في كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيا ن : مباحث علم البديع.

أ -التشريـــــع.

ب- التجنيـــــس.

ج- في التوجيـــه.

د- الطبـــــــاق.

ه- مراعاة النظير.

و- في العـــكس.

ن- الاقتبـــــاس.

1- التعريف بالحافظ التنسي :

لا تكاد المصادر التي عنيت بالحافظ التنسي تشير إلى تاريخ ولادته بالتحديـــــد وكل ما هنالك لا يعدو أن يكون ضربا من الترجيح الذي لا يرقى إلى اليقين . ويكاد يغلب على الظن أن مترلة التنسي وذيوع صيته في مجالس العلم الديني والدنيوي قد غطت على باقي الجوانب الأخرى من حياته، فأهملت بذلك تاريخ ولادته وطفولته ونشأته اللهم وصفه بالحافظ التنسي، أو شيخ شيوخ شيوخنا الحافظ سيدي أبو عبد الله التنسي ثم التلمساني كما لقبه بذلك المقري.(1)".

فأما **تلقيبه بالحافظ** فمرده إلى ما بلغه من رتبة سنية في حفظ الحديث ،وما عرف عنه من عدل وثقة حاز عليها في الدراية به ، قال **السيوطي**: " فألفاظ التعديل مراتب أعلاها : ثقة أو متقن أو ثبت، أو حجة، أو عدل حافظ، أو ضابط (2)" ونرجح أن مصطلح الحافظ لا يختص بالعالم المحدث أو اللغوي والأديب الثقة، وإنما يتصف به كل هؤلاء إذا كان مشهودا لهم بالعدل وعدم التجريح، يقول السيوطي عن صفة الحافظ في موضع من المزهر: **" فإذا بلغ الرتبة العليا من الحديث يسمى الحافظ ، وعلم الحديث واللغة أخوان يجريان من واد واحد (3)"** .

وأما عن مولده فيرجح محمود بوعياد أنه ولد **بتنس** (4). مستشهدا على ذلك بنصين **للمقري التلمساني** ، قوله :" حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني .فإن حرف " ثم "يمكننا من التأكيد أن صاحبنا من مواليد تنس (5) . وأما النص

الثاني فهو قول المقري، قال ": الإمام الحافظ عبد الله التنسي نزيل تلمسان رحمه الله (6)".
والحقيقة أن الحافظ كانت نسبته إلى تنس تفوق أي نسبة له لأي بقعة أخرى من بقاع العالم غربه وشرقه، وذلك ما يرجح انحداره من مدينة تنس، وليس تلمسان أو غيرها من المدن .
والمؤرخون لا يكادون يقفون على أهم أطوار حياة التنسي، خاصة ما يتعلق بنشأته، اللهم بعض الومضات التي تشير إلى امتهانه التعليم، وتصديه للإفتاء - كما هو الحال في حادثة يهود توات، وقد ألف فيها كتابا عنونه بالجواب المطول في قضية يهود توات - في بعض المسائل التي تعرض عليه، وتبحره في علوم الحديث والفقه واللغة والبيان . وجميعها تمثل مصادر ثقافته، يقول محمود بوعياد ": لا نعرف مكان ولادته على وجه التحقيق ولا تاريخها ولا سنه يوم توفي، فنحن لا نعرف أيضا كثيرا عن باقي حياته . ومما لاشك فيه أنه اشتغل بالتعليم والإفتاء كباقي العلماء في تلك العصور (7)" والظاهر أن امتهانه للتعليم وتعاطيه للإفتاء قد جلبا له كثيرا من احترام الخاصة والعامة على السواء، وبوآه المنزلة الرفيعة بين أقرانه في بيئة تلمسان " حتى لقد ذكر عن الشيخ أحمد بن داود الأندلسي أنه سئل حين خرج من تلمسان عن علمائها فقال : العلم مع التنسي، والصلاح مع السنوسي، والرئاسة مع ابن زكري (8)"
وبذلك حاز الحافظ التنسي على صفة العالم دون أقرانه ، ويكفي أن يكون مشهودا له بذلك لدى معاصريه ممن جابوا آفاق الأندلس وبلاد المغرب، و لا ندري بعدئذ أقادت الرحلة التنسي لبلاد المشرق على عادة ما كان يدأب عليه علماء المغرب من السفر بغية زيارة الحرم الشريف، أو التزود بمختلف المعارف، وجلب أمهات المصادر والالتقاء بعلماء المشرق . (9)

فأما وفاته فتكاد آراء العلماء تنعقد على أنها كانت سنة 899 هـ 1494/م (10).

كما يتهيأ للباحث في تاريخ الدولة الزيانية التي أفل نجمها بعد انقضاء هذا القرن أي حوالي سنة 957 للهجرة كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين (11) .

ولابد من التذكير أن الحركة الثقافية في ظل الدولة الزيانية لم يتيسر لها أن تسير على وتيرة واحدة، وذلك بفعل الفتن والقلاقل التي حلت بها، و لم تتح للفكر أن يظل يانعا مستمرا في عطائه طوال مختلف الأعصر . وقد يكون لهذا السبب أثر في عدم الإحاطة بأخبار بعض الرجال والعلماء إحاطة مفصلة تضئ جوانب حياتهم كما هو الشأن في السيرة ا لذاتية - **biographie**للحافظ التنسي.

2- أساتذتـــــه:

تلقى الحا فظ التنسي كثيرا من المعارف على جلة من العلماء ذكر بعضهم ابن مريم منهم (12)الإمام العلامة أبو الفضل محمد ابن مرزوق الحفيد، والإمام قاسم العقباني والإمام الأصولي محمد بن النجار والولي الصالح إبراهيم التازي والإمام ابن العباس، وكان من هؤلاء العلماء من يلم بالعلوم الشرعية واللغوية على وجه الخصوص كالإمام ابن مرزوق الحفيد الذي قيل إنه ": انفرد بفني المعقول والمنقول واتحد في علمي اللسان والبيان (13) " ومن ثم لا نستبعد أن يكون تأثيره في الحافظ التنسي قويا خاصة فيما يتعلق بالعلمين المذكورين سابقا.

وأما العلامة محمد بن النجار التلمساني الذي يعتبر القلصادي من تلامذته فقال هذا للأخير إنه أخذ عنه علوما عديدة منها التفسير والأصول والمنطق والبيان وغيرها (14) وللباحث بعدئذ أن يستنتج من سيرة هؤلاء العلماء ما يمكن أن يتركه من تأثير في عالم اتصف بحسن الاقتداء والحفظ كما يفهم من بعض أو صافه.

3- مؤلفاتـــــه :

عرف التنسي بمجموعة من المؤلفات ذاع صيتها، وأصبحت إحدى المصادر الهامة التي ينهل منها الدارسون كثيرا من المعارف منها:

- **نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان.**
- الطراز في شرح الخراز.
- راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو عن الشعر، وقيل فيه من الأمداح، وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح .
- الجواب المطول في قضية يهود توات (15) وعادة ما نجد بعض الدارسين يستدركون على من يقف بمؤلفات التنسي عند الحد الذي ذكرناه، فيضيف إليها مؤلفات أخرى أتت عليها عوادي الزمن منها:
- كتاب في إسلام أبي طالـــــــب.
- كتاب في الب ـان محمد المتوكـــل.
- فهرســـــة.

-تعليق على مختصر ابن الحاجب.

وهي مؤلفات يغلب على الظن أنها **لا تتصل بالعلوم البيانية** من قريب أو من بعيد خاصة وأنه لا توجد تعقيبات تؤكد تلك الصلة أو تنفيها

4- البلاغة في كتاب نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان:

يتضح من خلال عنوان الكتاب أن التنسي ألفه في تاريخ بني زيان المنحدرين من بني عبد الواد القبائل البربرية التي تفرعت من قبيلة **زناتة** ، أكبر القبائل على الإطلاق و في تبيان منزلتهم المتصفة بالشرف والعزة وقد ورد في المقدمة ما يشير إلى ذلك قال التنسي :" وسميته نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان (16)" وقد أراد المؤلف أن يضيف لكتابه أبوابا أخرى لا تتصل في حقيقة الأمر بموضوع الكتاب لعله بذلك يرضي مولاه، وهو " مولانا أبي عبد الله محمد أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين ابن مولانا أبي عبد الله محمد ابن مولانا أبي تاشفين ابن مولانا أبي حمو (17)" ... وقال المؤلف في مقدمة كتابه موضحا طبيعة تلك الموضوعات ": فعزمت ... على أن أجمع له تصنيفا يكون ملوكيا أدبيا ... متبعا بجملة صالحة من مناقب الملوك ومآثرها ... كذا مكملا بالحكايات البارعة والوصايا النافعة، والمخاطبات الفائقة، والأشعار الرائقة، والنوادر المستغربة، والأجوبة المستعذبة مختتما بحكم تجلو صدى الخواطر ومواعظ تبكي النواظر وقسمته إلى خمسة أقسام (18)" تنضوي تحت كل قسم مجموعة من الأبواب. وإذا كان التنسي خصص القسم الأول لتاريخ ملوك بني زيان و عنون القسم الرابع بمحاسن الكلام المستعملة في النثر والنظم، وأورد ضمنه الأبواب التالية:

الباب الأول : في بيان فضل الشعر وذكر شئ من فوائده.

الباب الثاني :في ذكر التشريع ويسميه بعضهم.

الباب الثالث : في التجنيس.

الباب الرابع :في التوجـــــيه.

الباب الخامس :في الطـــــباق.

الباب السادس :في مراعـــــــاة النظير.

الباب السابع :في العكس وربما سمي قلبا.

الباب الثامن :في الاقتباس وحقيقته(19) .

وفي الجدول التالي توضيح لبعض الفروق في صياغة عنوانات الأبواب الواردة في

01	**02**
نسخة الكتاب الذي حققه محمود بوعياد مقتطف من نظم الدر والعقيان من 40 – 41	**الجانب الأدبي من المخطوطة التي حققها بوطالب محيي الدين من ص 131-255**
الباب الأول : في بيان فضل الشعراء وذكر شئ من فوائده.	الباب الأول : في بيان فضل الشعر وذكر شئ من فوائده.
الباب الثاني: في ذكر **التشريع** وهو أحد أنواع الاقتدار.	الباب الثاني: في ذكر **التشريع**، وهو أحد أنواع الاقتدار
الباب الثالث : في **التجنيس**.	الباب الثالث : في **التجنيس**.
الباب الرابع: في **التوجيـــــه**.	الباب الرابع: في **التوجيـــــه**.
الباب الخامس: في **الطـــباق**.	الباب الخامس: في **الطباق** ويقال له أيضا المطابقة.
الباب السادس: في **فراغات النظير**.	الباب السادس: في **مراعاة النظير**.
الباب السابع:في **العكس** وربما سمي قلبا.	الباب السابع: في **العكس**.
الباب الثامن: في **الاقتبـــــباس** وحقيقته.	الباب الثامن: في **الاقتبـــــباس**.

ومن المر ج أن هذا الاختلاف مرده إلى عمل **النساخين** أو **الخطاطين** الذين أعادوا نسخ كتاب التنسي، فحوروا ما أرادوا تحويره ، وأبقوا على ما شاءوا أن يبقوا عليه، وهي ظاهرة لا

تختص بعصر أدبي بعينه.

يذهب بعض العلماء الذين ترجموا للتنسي إلى أنه كان على صلة بالأدب- **litterature** بالإضافة إلى كونه الفقيه الحافظ التاريخي الأديب الشاعر (20)ومن ثم تعلقت عنايته - على ما يبدو - بالبلاغة **rhétorique** -التي تسمو بالقول إلى مرتبة الحسن والجمال، بل تهذب الحس، وتربي الذوق عندما تصاغ الجمل والعبارات صياغة تراعي المقام ، وتبلغ مرادها في التأثير. ولا شك أن عناية التنسي بالقرآن وبنظم الشعر قد دفعاه إلى تضمين كتابه " نظم الدر والعقيان "أبوابا من علم البديع. ومن ثم فإنه لا يصح الادعاء أن انصرافه للعلوم الدينية -الذي كان غالبا عليه - يجعلنا لا نتوقع اهتمامه بالأدب كما يذهب إلى ذلك بعض الدارسين بقوله ": رغم عدم توقع هذا التكوين الأدبي عند شخص قد قضى حياته في وسط غلبت المسحة الدينية على ثقافته (21)"وذلك لسبب نراه وجيها وهو الارتباط الوثيق بين العلوم الشرعية والدراسات القرآنية والعلوم الأدبية والبلاغية التي يأتي الإعجاز على رأسها لأنه يتم بها استنباط وجوه البيان في القرآن المجيد.

مباحث علم البديع:

بدأ التنسي مباحث البديع بذكر:

1- التشريع : الذي" هو أحد أنواع الاقتدار (22)"عرفه التنسي بقوله: " ومن بديع الكلام ويسميه بعضهم **الفصل**. قال الرندي في كتاب الكافي له: ومن محاسن الشعر : الوصل والفصل، وهو أن ينشأ منقسما بقسمين فأكثر في مواضع متوازنة من أبياته. فإذا قطع قسم من تلك الأقسام عما قبله كان الباقي تام الوزن والمعنى وكذلك إذا سقط شئ منها ثم وصل ما قبله بما بعده، وربما قدم بعض تلك الأقسام وأخر بعضها فينفك من الشعر بذلك بحسب ما تقبله أقسامه، فمما ينفصل عنه قطعه فيكون شعرين قول أبي محمد الحريري في المقامة البغدادية - كامل:

ياخاطب الدنيا الدنيـــــة إنها شرك الردى وقرارة الأكـــــدار

دار متى ما ضحكت في يومها أبكت غدا، بعدا لها من دار(23) "

و يظهر أن التشريع يتداخل مع باب " الفصل والوصل " وهو من أبواب علم المعاني قال

فيه السكاكي " وهو : ترك العاطف وذكره على هذه الجهات، وكذا طي الجمل عن البين ولاطيها، وإنما لمحك البلاغة، ومنتقد البصيرة ومضمار النظار ومتفاضل الأنظار (24)" ... وقال في تعريف **العطف** : " اعلم أن تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل كنحو أن تذكر معطوفا بعضها على بعض تارة ومتروكا العطف بينها تارة أخرى هو الأصل في هذا الفن (25) " وقد يعزى هذا التداخل إلى ما كان يعم الحقل الاصطلاحي البلاغي من عدم الضبط والحد على نحو ما وجه إليه النظر علماء البيان قديما وحديثا وما ذكروه من الأسباب المؤدية إليه .

ولا نظن بعدئذ أن التشريع هو **الفصل والوصل** كما يذهب الرندي إلى ذلك ولتوضيحه نسوق هذا التعريف الوارد بالمعجم المفصل لعلوم البلاغة

" التشريع : من شرع، وشرع بابا إلى الطريق أنفذه وفتحه وبينه، وعرفه ابن معصوم في كتابه " أنوار الربيع " فقال ": وهو أن تبنى القصيدة على وزنين من أوزان العروض وقافيتين ، فإذا أسقط من أجزاء البيت جزء أو جزءان صار ذلك البيت من وزن آخر، كأن الشاعر شرع في بيته بابا إلى وزن آخر (26)" ويبدو تصرف الشاعر فيه واضحا بدليل خروجه من وزن إلى آخر، وهو ما يدل على حذقه وامتلاكه ناصية العروض.

وجاء في موضع آخر في المعجم المفصل " وهذا الفن من اختراع الحريري، أما الأجدابي فهو الذي أطلق عليه هذه التسمية " التشريع " وقد عرفه القزويني في كتابه" التلخيص " فقال : وهو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما، كقول الحريري - الكامل:

ياخاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار

...وعلل ابن أبي الإصبع المصري تسمية هذا النوع **بالتوأم** فقال :" إنه متى اقتصر على القافية الأولى كان من ضرب ذلك البحر الذي عمل الشاعر بيته منه فإذا استوفى أجزاءه وبناه على القافية الثانية، كان البيت من ضرب غير ذلك الضرب من ذلك البحر وغالبه أن يختلف الرويان وإن جاز توافقهما. وقد كان لابن حجة الحموي موقف من هذا الفن البديعي وهو " ولاشك من أن هذا النوع لا يأتي إلا بتكلف زائد وتعسف، فإنه راجع إلى الصناعة لا إلى البلاغة

والبراعة(27)» .

والمتأمل لباب التشريع في مؤلف التنسي يلحظ إكثاره من الأمثلة الشعرية التي أوردها لا شرح والتوضيح كما تقف على إعماله لذوقه في تحليل وشرح تلك النماذج ومن أمثلة ذلك قوله:

"ومما يصير خمسة أشعار قول بعضهم:

قل للملك أخي الندا والنائـــل الهاطل للشعراء والقصـــــاد

لازلت تهتك العدا بالذابـــــل العسال في الأحشاء والأكباد

ووقيت من صرف الندا والنازل القتال بالأعـــــــداء والحساد

قال صاحب طراز الحلة لما أنشد هذه القطعة الأخيرة:

هذا الذي صنعه هذا الشاعر حسن من جهة الصنعة، إلا أنه لا يستقيم على قانون أوزان الشعر العربي لأن هذه الأبيات، ونوع البيت من خمسة أجزاء لم يسمع من العرب، وفيها وقوع الكامل مشطورا ومنهوكا وذلك غير مسموع.

قلت: وهذا غير خاص بهذه القطعة، وهؤلاء الفضلاء غير جاهلين بهذا، وإنما مقصودهم إظهار قوة الملكة لا غير (28)" ومن ثم فإنه يمكن اعتباره مظهرا من مظاهر **الحداثة - modernité**التي يتم بمقتضاها تجاوز قوانين النظم التي أصبحت نماذج تقتدى وأمثلة تحتذى.

لقد أتاح هذا للشاعر أن يلجأ لأسلوب الحذف الذي هو ظاهرة لسانية وفنية -تقع على المستوى العروضي -إذ قام بحذف ثلثي شطري البيت في موضع، وحذف نصفه وأبقى على النصف الآخر تصرفا منه في الإيقاع، مخالفا بذلك القواعد دالا على اقتداره في صياغة المعاني مقدما الصنعة على القوالب التي يتم وفقها النظم، وليس أدل على الحداثة من هذا المظهر الذي يخضع فيه الفن إلى ما تمتلئ به النفس من أحاسيس ومشاعر تفيض بها فلا تتسع لها أطر النظم

2- في الجناس :

قال التنسي في تعريفه ": ورسمه بعضهم بأنه اتفاق لفظين أو ألفاظ في جميع الحروف أو أكثرها مع اختلاف المعنى .وشرطه ألا يبعد ما بين اللفظين، بل يكونا في جملة أو جملتين متصلتين، أو في بيت أو بيتين متصلين ولذلك قيل إنه من أضيق أبواب البديع (29)" ونرجح أن يكون هذا الرسم لابن الأثير الجزري المتوفى سنة 637 للهجرة إذ كان حده بقوله ": فأما

الجناس فهو أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا . (30)" وقد راح التنسي يوجه النظر إلى غلبة التكلف عليه مما حدا بالقدماء إلى تجنبه مخافة ذلك ، وهو إذا خلا من ذلك عد على رأس البديع لما فيه- كما يدعي بعض العلماء - من استمالة الطباع وكلف النفوس به(31).

-أنواعه : **وللجناس أنواع وأقسام** (32) أبى التنسي إلا أن يقتبس أكثرها من كتب البلاغة أولها التجنيس التام وفيه يتفق اللفظان في مجموع الحروف وعددها وهيئتها. ومنه المطلق وهو ما يقع فيه اللفظان ويكونان بسيطين، ومنه جناس التركيب وهو بخلاف ذلك.

والتام المطلق ينقسم إلى مماثل : وهو ما اتفق اللفظان فيه نوعا، وإلى مشوب وهو ما اختلف فيه اللفظان(33).

قال الصفدي:" اعلم أن الجناس إما أن يكون ركناه متفقين لفظا مختلفين معنى لا تفاوت في تركيبهما ولا اختلاف في حركاتهما، فهذا هو" الجناس التام " ومنهم من يسميه الكامل، ومنهم من يسميه " المستوفي " ومنهم من يسميه " المماثل " وهو أعلى أنواع الجناس مرتبة " (34) .

القسم الثاني جناس التركيب : وينقسم إلى ملفوف و مرفو، فأما الملفوف فهو ما تركب فيه التجنيس في اللفظين أو أحدهما من كلمتين تامتين أو أكثر بخلاف، المرفو وهو ما كانت إحدى لفظتي التجنيس فيه من كلمة وبعض الأخرى.

وكل من الملفوف و المرفو ينقسم إلى متشابه وهو ما استوى اللفظان فيه خطا، وإلى مفروق وهو ما اختلفا فيه خطا، فمجموعهما اثنا عشر، منها عشرة في الملـــفوف واثنان في المرفو، ولو نوعت عشرة باعتبار الأسماء والأفعال والحروف اتفاقا واختلافا لبلغت أكثر من هذا (35).

وأما **التجنيس المحرف** فينقسم إلى مفرد ومركب، فالمفرد يتنوع بحسب أنواع التغيير الثلاثة المتقدمة، والمركب يتنوع إلى مرفو وملفوف وكلاهما مفروق ومتشابه فمجموعهما تسعة (36) فإن اختلف اللفظان المتجانسان في عدد الحروف فقط فهو التجنيس الناقص، وبعضهم يسميه الزائد، وهو أن يكون أحد لفظي التجنيس ناقصا عن الآخر بحرف أو حرفين لكن يشترط في الناقص بحرفين أن يوجد فيه حرفان فأكثر...

ونقص الحرف تارة يكون من أول الكلمة، وتارة من وسطها، وتارة من آخرها ونقص

الحرفين كذلك فهي ستة أقسام كل واحد منها يكون التجنيس فيه إما بين اسمين، وإما بين فعلين وإما بين مختلفين، فستة مضروبة في ثلاثة تخرج ثمانية عشرة(37) ... .

-تجنيس القلب : ويكون باختلاف اللفظين المتجانسين في ترتيب الحروف.

-الملحق بالجناس : ذكره البيانيون في باب التجنيس ، قالوا في تعريفه ": إنه قارب الجناس و لم يخلص لنوع من أنواعه " وهو نوعان الأول : الاشتقاقي.

والنوع الثاني :المشابه، وسمي بذلك لما فيه من إيهام الاشتقاق(38) .

والبلاغيون يضيفون إلى الأنواع السالفة الذكر ثلاثة أنواع أخرى قال التنسي صدد حديثه عن ذلك ": وقد زاد بعض البيانيين على ما ذكرناه من أنواع التجنيس السبعة التي قدمناها ثلاثة أنواع أخرى أحدها تجنيس الخطاء، ويسمى أيضا تجنيس التصحيف وهو أن يكون اللفظان متماثلين خطا مختلفين نقطا وشكلا، فلولا النقط والشكل لتصحف أحدهما بالآخر(39) .

- وأما النوع الثاني فهو تجنيس **الإشارة** ويسمى أيضا المعنوي، وهو ما غير فيه من أحد لفظي التجنيس، و لم يصرح به (40) .

- والنوع الثالث : المزيد يسمى التجنيس المشوش بكسر الواو، وهو على صفة اسم الفاعل ورسمه بعضهم بأنه ما تجاذبه نوعان من التجنيس كل منهما على تقدير، و لم يخلص لواحد منهما، كقوله تعالى : إنه هو العليم الحكيم (41)" .

وقد أجمل التنسي حديثه على أقسام التجنيس بقوله : إنها تبلغ تسعين قسما، غير أن من أراد أن يتصرف فيها حتى يوصلها إلى أكثر من هذا أمكنه ذلك، وإن افتقر في النهاية إلى الأمثلة.

صفوة القول إن التنسي سار على نهج علماء البديع في جمع وتصنيف أنواع وأقسام الجناس، وقد عني بإيراد الشواهد والأمثلة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي مغربا ومشرقا. ومن مصادره في أسلوب الجناس سعد الدين التفتازاني الذي يشير إليه صراحة أثناء حديثه بقوله ": ومثال الثاني ما أنشده سعد الدين التفتازاني . مديد:

صدق الآجال آجال والهوى للمرء قتال(42)

كما يشير إلى الحريري بقوله:

"ومثال الثالث قول الحريري في المقامة النحوية .بسيط:

نهاني الشيب عما في أفراحي فكيف أجمع بين الراح والراح

فإن المراد بالأول الخمر، وبالثاني جمع راحة وهي باطن الكف(43)

كما لا يخفي التنسي اعتماده على القزويني صاحب الإيضاح، أو يكتفي في بعض الأحيان بالإشارة إلى علماء البيان دون ذكر أحد منهم كقوله ": ومما ذكره البيانيون في باب التجنيس قسم يسمى الملحق بالجناس(44)"

وبذلك نخلص إلى أن التنسي استوفى دراسته للجناس رغم إكثاره من ذكر أقسامه و قلة إيراده للأمثلة الموضحة لبعض أنواعه في مواضع لا يشذ منها باب الجناس.

3- في التوجيـــه :

ثم انتقل التنسي إلى التوجيه باعتباره فنا من فنون البديع، وهو عنده ": أن يؤتـــى بكلام يحتمل معنيين أحدهما مدح والآخر ذم على هذا أكثر البيانيين، وكثير منهم أطلقوه في كلام احتمل معنيين من غير تخصيص، فيتنوع التوجيه على المذهب إلى : ما احتمل معنيين مستحسن ومستقبح، وهذا المتفق عليه، وإلى ما احتمل معنيين ولا مستقبح، وإلى ما احتمل معنيين أحدهما مستقبح والآخر غير مستقبح ولا مستحسن (45)"

وربما لا يخفى على القارئ المتمعن تأثير هذه النزعة المنطقية الطاغية على التفكير البلاغي، والظاهرة آثارها في دقة التقسيم وذكر المحسن البديعي في حالتي القبح والحسن، وهي نزعة لازمت البلاغة العربية والنحو على السواء حتى أدت إلى أن يثقل كاهلهما بكثرة التقسيم والتفريع والاستغلاق.

والظاهر أن التنسي كان معتمدا فيما أورده في مبحث التوجيه على علماء البلاغة بدليل عدم إضافته شيئا لآرائهم، فالتوجيه عند السكاكي ": إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين كقول من قال للأعور : ليت عينيه سواء (46)" وهو تعريف عليه أكثر البلاغيين كما أشار إلى ذلك التنسي في أول عبارة ساقها.

وعرفه ابن أبي الإصبع المصري بقوله ":هو أن يقول المتكلم كلاما يحتمل معنييـــن متضادين لا يتميز أحدهما على الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد به إيهام الأمر فيهما قصدا(47)"

ولا يكاد التنسي يغفل ما ذهب إليه بعض علماء البيان الذين يعتبرون التورية من قبيل التوجيه بخلاف الجمهور الذين لا يرون ذلك، إما باعتبار ما يختص به التوجيه من خصائص نوعية على الوجه الذي تقدم ذكره، وإما لتساوي دلالتي المعنيين المحتملين فيه بخلاف التورية التي لها معنيان قريب وبعيد مقصود يورى عليه بالمعنى القريب إلى حد الإيهام وقد فضل بعض البلاغيين تسميتها الإيهام.

ويبدو أن التنسي أراد أن يبين منزلة التورية في علم البديع لذلك قال ": واعلم بأن التورية من البديع بمنزلة الإنسان من العين، سمت في فن البلاغة سمو الذهب العين، وكانت خواطر القدماء بها شحيحة، وأفكارهم لا تقصدها وإن كانت سليمة صحيحة لكنها ربما وقعت لهم عفوا فيردون من حسنها موردا صفوا، فلهج بها المتأخرون من بعدهم ... حتى اهتدى إلى منهاجها كل أديب، وقد نوعها إلى أربعة أنواع (48)" ومعلوم أن القدماء تجنبوا الإكثار منها مخافة وقوعهم في التكلف شأنهم مع بقية فنون البديع.

ولا يكاد التنسي بعدئذ يبتعد في تعريفه للتورية عما أورده علماء البلاغة الذين يحدونها بأنها تسمى التوجيه، وهي أن يكون للفظ معنيان : قريب وبعيد فتذكره موهما إرادة القريب وأنت تريد البعيد وهي أربعة أضرب:

الأول : التورية المجردة، والمرشحة، والمرشحة بما بعدها، والتورية المرشحة بلفظين كل منهما يرشح صاحبه (49)" وهذه الأضرب هي نفسها التي أوردها التنسي وساق لها من الشواهد والأمثلة ما يدل على أنه استوعبها ووقف على دقائقها.

فالضرب الأول وهو التورية المجردة هي التي لا يذكر معها شئ من قرائن المورى به ولا من قرائن المورى عنه، وتذكر قرينة كل واحد منهما، وعليه فإن التورية المجـــردة قسمان.

وأما التورية المرشحة فهي التي يذكر معها قرينة المورى به إما قبل لفظ التورية وإما بعده أو يجتمعان، فهي ثلاثة أقسام، وسميت مرشحة لأن المعنى المرشح لما كان غير مراد كأنه ضعيف فرشح أي نوي بالقرينة.

والنوع الثالث : التورية المبينة ، وهي التي يذكر معها ما يبين المورى عنه إما قبل لفظ التورية وإما بعده أو يجتمعان فهي أيضا ثلاثة أقسام، وسميت مبينة لأن المعنى المورى عنه لما كان بعيدا صار كأنه خفي فبين أي أظهر بما يذكر معه.

والنوع الرابع : التورية المهيأة : وهي ما كان المعنى البعيد فيه لا يخطر بالبال إلا بذكر ما ينبه عليه، وبذلك انفصلت عن المبينة، وكان المعنى البعيد في المبينة يخطر بالبال لو قدر عدم ذكر المبين، والتهيئة تكون بلفظ سابق ولاحق وباجتماعهما، وقد تكون التورية فيها بلفظين لولا كل واحد ما تهيأت التورية في الآخر، فهي إذا أربعة أقسا م، فمجموع أقسام التورية اثنا عشر (50).

وتجب الإشارة بعد هذا إلى أن فكرة تكثير الأقسام وتفريع الفروع كانت مهيمنة على التنسي في بحثه للتوجيه والتورية على وجه الخصوص، ولا نستبعد اعتماد التنسي على مؤلفات البلاغيين في أكثر ما أورده، وقد تنوعت شواهده التي ساقها فكانت من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي، وقد كان كثير التعقيب على تلك الشواهد بشكل يدل على معرفة عميقة بالمحسن البديعي وخصائصه الفنية.

4- في الطباق ويقال له أيضا المطابقة:

أورد التنسي معنى الطباق وأنه " ذكر الشئ ومقابله أي منافيه من حيث الجهة حقيقيا كان أو اعتباريا تقابل التضاد أو غيره (51)" والطباق يقع ضمن المحسنات المعنوية التي يجمع فيها بين الشئ وضده كما هو حال الأضداد اللغوية التي تبحث على أنها ظواهر لسانية تختص باللغة بينما يختص الطباق بالجانب الجمالي فيها أي البلاغي، وقد انتقل التنسي إلى تعداد أنواعه معتمدا في ذلك على علماء البيان، إذ يقع بين لفظ ولفظ، وبين لفظين ولفظين، وبين ألفاظ وألفاظ موردا لكل قسم مثالا يوضحه، وقد يقع الطباق بين اسم وآخر أو فعل وآخر أو بين اسم وفعل أو بين حرفين . أو أن يقع بين لفظين استعملا استعمالا حقيقيا أو استعمالا مجازيا .

والطباق قد يكون ثبوتيا أو سلبيا يذكر فيه اللفظ ثم يتم نفيه كقول امرئ القيس:

جزعت ولم أجزع من البين مجزعا وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

وربما قسم البلاغيون الطباق إلى طباق مقابلة سلبي، وطباق غير مقابلة ثبوتي وطباق غير مقابلة سلبي ، وتدبيج كناية ، وتدبيج تورية ومطابقة خفية.

ثم إنهم أجروا مجرى الطباق ما أسموه بإيهام الطباق، والملحق بالطباق فيكون مجموع ذلك تسعة

أقسام(52) .

فمن أمثلة إيهام الطباق- وهو أن يعمد إلى معنيين غير متنافيين ويعبر عنهما بلفظين يتنافى مدلولهما الحقيقيان كقول دعبل - كامل:

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

إذ لا منافاة بين وضوح الشيب والبكاء بوجه، لكن لما عبر بوضوح الشيب بالضحك حصل التنافي.

وأما **الملحق بالطباق** فهو أن يذكر مع الشئ ما يستلزم منافيه كقوله تعالى : (أشداء على الكفار رحماء بينهم) لأن الرحمة تستلزم اللين الذي هو مناف للشدة.

وأما تدبيج الكناية فهو أن يقع الطباق بين ألفاظ دالة على الألوان، وتكون تلك الألفاظ أريد بها لازم معناها مع جواز إرادة معناها كقول أبي تمام في مرثية له- طويل:

تردى ثياب الموت حمرا فما دجى له الليل إلا وهي من سندس خضر

فإنه كنى بالحمرة عن كونه مقتولا وبالخضرة عن دخول الجنة أو ملابسها.

وأما تدبيج التورية فيقع الطباق فيه بين ألفاظ الألوان مع وجود التورية منها، وهي قصد المعنى البعيد مما له معنيان، ومن أمثلته قول الحريري:

فخذ غبر العيش الأخضر، وازور المحبوب الأصفر وأسود يومي الأبيض، وأبيض فؤادي الأسود حتى رثى لي العدو الأرق، محبذ الموت الأحمر.

وتدبيج التورية في المحبوب الأصفر فإن له معنى قريبا وهو إنما أراد به الذهب وهو المورى عنه(53). وأما الطباق الخفي فأن يقابل الشئ بما ليس مقابلا له حقيقة، ولكنه يقابله بحسب متعلقه كقول أبي تمام:

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

إذ طابق بين هاتا وتلك ، وهما اسما إشارة لا منافاة بينهما- للقريب والبعيد - ولذلك سمي الطباق خفيا.

وقد ذيل التنسي مبحث الطباق " **باللف والنشر** " موجها نظر القارئ إلى أن كثيرا من أمثلة الطباق تنضوي تحت ما يسميه البلاغيون بمبحث اللف والنشر .

قال التنسي في تعريفه ": إنه من أنواع البديع المعتنى بها، وقد تنافس البلغاء فيه كثيرا وحقيقته أن يؤتى بمتعدد إما على التفصيل وإما على الإجمال وهو اللف، ثم يذكر ما لكل واحد من التعدد دون تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يليق به، وهذا هو النشر فحصل من هذا أن اللف على وجهين تفصيلي وإجمالي و لا تقسيم في النشر (54)" وقال الخطيب القزويني ": اللف والنشر وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ما لكل واحد من غير تعيين . ثقة بأن السامع يرده إليه . (55)" واللف التفصيلي– كما يرى التنسي - ينقسم بحسب نشر متعددة عليه إلى ثلاثة أقسام : لف و نشر مرتب وهو ما يرد فيه الأول للأول، والثاني للثاني وهكذا إلى آخره كقول ابن رشيق- بسيط :

سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأفواه والمقل

ولف ونشر معكوس، وهو الذي يرجع الأول منه إلى الأخير، ثم كذلك على التوالي إلى آخره كقول ابن حبوس:

- خفيف:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظا وقدا وردفا

ولف ونشر مختلط، وهو ما عكس على غير التوالي كقول بعضهم :

- كامل:

وجهه وقوامه مع شعره غصن عليه البدر في الليل

وأما المجمل فليس فيه إلا قسم واحد، ومثلوه بقوله تعالى :(وقال لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) فإن اليهود والنصارى أجملوا في ضمير واحد، ونشر كلامهم مفصلا ثقة بأن تعطي ما يليق بها من القول لأن اليهود إنما يقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هودا ...والنصارى إنما يقولون:" لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى(56)"

ومن اللافت في كل ما أورد ه التنسي في بحث اللف والنشر هو كثرة الشواهد والأمثلة التي ساقها مع العناية بالتكثير في الأقسام، وهي ظاهرة شائعة في كتب البلاغيين المتأخرين ، وقد استطاع في النهاية أن يحصي أقسام هذا النوع فوجد أنه أربعة أقسام هي : مرتب، ومعكوس، ومختلط، ومجمل، بحيث يعد المرتب أكثرها استعمالا، حتى تبارى فيه البلغاء وأوصلوه إلى أوجه

عديدة، منها:

ما يقع بين اثنين واثنين كقوله تعالى :(مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) وبين ثلاثة وثلاثة كقول الشاعر:

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

خمـــر ودر وورد ريق وثغر وخـــد

وأربعة وأربعة كقول شاعر:

صالوا وجادوا وضاؤوا واحتبوا فيهم أسد ومزن وأقمار وأجبال

وكهذا الأمر إلى أن وصلوا به إلى اثنى عشر. (57)

وقد استدرك التنسي على البلاغيين الذين لم يعنوا باللف والنشر، والنشر المكرر الذي يراه من أبدع البديع ... غير أنه عزيز الوجود كقول التنسي:

أبي وأباح الجور والجود للورى فذلك محظور وذاك مباح(58)

وكل ذلك دعا محقق الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان للقول بأن أبواب البلاغة في الكتاب "لم يتطرق لها البيانيون إلا نادرا فهي تتمة لكتب البلاغة التي نحن في حاجة إليها كاملة غير منقوصة حتى تكون صالحة للتدريس (59)" ومن الإنصاف أن نقول إن هذه الأبواب- وبعضها آت - قد سبق التنسي في أكثرها، وإنما يكمن فضله في حسن العرض والتعقيب والأخذ بالاعتماد على الوصف والإحصاء، وهو منهج يلتقي فيه مع أحدث المناهج الأسلوبية التي تقوم على تحليل الخطاب باستثمار الجوانب المذكورة آنفا .

5- مراعـــاة النظيـــر:

ثم ذكر التنسي مراعاة النظير فقال في تعريفه : "وربما سمي التناسب والائتلاف، وحقيقته أن يجمع بين أمر وما يناسبه دون تضاد ليخرج الطباق".

والمناسبة تارة تكون بين المعنى والمعنى كقول المتنبي :

- بسيط:

فالعرب منه مع الكدري طائرة والروم طائرة منه مع الحجل

فإنه لما تخيل هروب العرب والروم من ممدوحه أراد أن يذكر معنى يناسب هذا المعنى فذكر مع العرب الكدري وهو القطاة لأنها تناسبهم في سكنى سهل الأرض وذكر مع الروم الحجل لأنها تناسبهم في سكنى الجبل ولو أخبر بأن العرب والروم يفرون من ممدوحه فرار الحجل أو فرار الكدري أو فرار النعام أو الظباء(60)...

ومن المؤكد أن هذا الأسلوب المراعي لما يجب أن يكون من ترابط وانسجام في تشكيل الخطاب ينبني على تصور وتقدير مبدئي أساسه التلاؤم والتوافق بين المكونات العامة لبنية الخطاب.

إننا إذا عدنا لتعريف التنسي له وجدناه معتمدا فيه على علماء البلاغة كابن حجة الحموي الذي يقول فيه ": هذا النوع أعني مراعاة النظير، يسمى التناسب والائتلاف، والتوفيق والمؤاخاة وهو في الاصطلاح أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة سواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى إذ القصد جمع الشئ إلى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من إحدى الوجوه (61)" ولا نستبعد بعدئذ أن يكون التنسي مقتبسا على هذا التعريف من إحدى المصادر البلاغية مستوحيا لأكثر دلالاته وإن يكن يبدو عليه التركيز والعناية بالتفريع كما عهد منه ذلك في باقي فصول الجانب البلاغي .

فأما المناسبة فقد تكون بين اللفظ واللفظ، أو بين اللفظ والمعنى .فإن التناسب قائم على تصور شيئين:

الشيء ←——— و نظيـــره.

وقد تتعدد الأشياء المتناسبة لذلك نوع علماء البيان مراعاة النظير إلى أنواع أربعة:
منها ذكر الشئ وما يناسبه في جمل متساوية المقدار أو قريبة التساوي، ويسمى " التفويف " تشبيها بالثوب المفوف، وهو الذي فيه خطوط متساوية، وقد تكون جمله طوالا أو قصارا، ومدمجة إن كانت في شعر.

وأما النوع الرابع فيتم فيه ذكر الشئ مع لفظ مشترك بين أمرين : أحدهما يلائم الأول، والآخر لا يلائمه و هو ما يسمى بإيهام النظير، إذ أن السامع يتوهم أن المراد الملائم، وليس كذلك.(62).

ومما يراه التنسي بعدئذ أن التفويف كما يقع في مراعاة النظير يكون في الطباق، وقد أتى البلاغيون له بمثال هو قول ديك الجن :

- بسيط:

اتل وامرر وضر وانفع ولن وخشن ورش وابر وانتدب للمعالي(63)

وأما إيهام النظير فمثاله قوله تعالى: (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) فإن لفظ **النجم** له معنيان كما هو معلوم، ومعناه في الآية الكريمة النبات الذي لا ساق له بدليل عطف الشجر عليه(64).

6- في العكـــس:

وهو باب أطلق عليه البلاغيون عدة تسميات، قال التنسي ": وربما سمي قلبا وتبديلا وهو ينقسم إلى قسمين، قسم تنعكس فيه الكلمات، وقسم تنعكس فيه الحروف (65)"

وقال الخطيب القزويني - وقد أسماه العكس والتبديل ": وهو أن يقدم في الكلام جزء ثم يؤخر، ويقع على وجوه : منها أن يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليه كقول بعضهم : عادات السادات سادات للعادات ومنها أن يقع بين متعلقي فعلين في جملتين كقوله تعالى :(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي).

ومنها أن يقع بين لفظين في طرفي جملتين كقوله تعالى : (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) (66)وقد راح التنسي يعدد أوجه العكس أو القلب والتبديل معتمدا في ذلك على وروده ضمن الشواهد والأمثلة مما أدى إلى صعوبة حصر أقسامه وأنواعه.

-فالتعاكس قد يكون بين أ جزاء الخبر في جملة أخرى كقول الشاعر:

إذا نزل الضيف ليلا بهم رأى أوجها لاح به الصباح

كرام الوجوه لمن أمهم عند وجوه الكرام السماح

فإن كرام الوجوه خبر مبتدأ محذوف، أي هم كرام الوجوه.

- وقد يكون بين المبتدأ والخبر وما في حكمهما.

- ومنها التعاكس بين المضاف والمضاف إليه في جملتين والمضاف فيهما معمول فعل.

- ومنها التعاكس بين معمولي فعل في جملتين دون إضافة ، كقوله تعالى :(يخرج الحي من

الميت ويخرج الميت من الحي).

- ومنها التعاكس بين الفعل وفاعله، كقول بعضهم :

- بسيط:

قد خجل الدر عند مبسمها فاعجب لما الدر منه قد خجلا

ويصير الفعل بالتعاكس مبتدأ على المذهب المختار.

- ومنها التعاكس بين الفعل ومتعلقه ، وهكذا(67)...

وكان التنسي-فيما يبدو - معولا على **الاستقراء والوصف** في استنباط كثير من الأنواع التي أوردها، وربما كان ذلك سببا في تكثير الأقسام، وإن يكن قد شفع كل نوع بشواهد وأمثلة دالة عليه.

ويذكر التنسي في نهاية الباب " عكس الحروف " أو ما يسميه البعض بعكس القلب وهو إن كان مع اتفاق المعنى، وقد أسماه البعض " بالقلب المستوي " بحيث تقرأ الكلمة والكلام من الآخركما تقرأ من الأول، فهو المراد هنا، وهو نوع عزيز الوجود لكونه معرضا للتكلف في الغالب، ويكون في اللفظ الواحد نحو : سلس وقلق وفي اللفظتين كقولهم : أرض خضراء . وقولهم رمح أحمر(68) .

وبالجملة فإن بحث التنسي للعكس تميز بنوع من الشمولية التي قلما نجد مثيلا لها عند البلاغيين، خاصة من ناحية تنويع الأمثلة والعناية بالتفريع، ودقة تتبع الظاهرة وهي أمور وسعت من دائرة البحث في كثير من أبواب البديع، وتجاوزت ما كان يوجه للبلاغة العربية من اتهام بالتحجر والقصور وعدم مجاراة الحياة الأدبية في عصر من العصور.

7- في الاقتبـــاس:

قال التنسي في تعريفه ": وحقيقته عند الجمهور أن يؤتى في الكلام المنثور أو المنظوم بألفاظ تشبه ألفاظ القرآن أو الحديث غير مراد بها أنها لفظ القرآن أو الحديث، وبهذا القيد يتخلص من درك تعبير القرآن ومعانيه حتى لا يلزم فيها تشنيع كفر ولا غيره وزاد الطيبي : الاقتباس من مسائل الفقه ، وزاد غيره : سائر العلوم، وعلى هذا جنينا نحن في هذا الباب (69)" ولا نستبعد أن يكون التنسي قد اتكأ على بعض البلاغيين في هذا التعريف كما نستدل على ذلك

من خلال بعض التعريفات . قال جرمانوس فرحات في تعريف الاقتباس ": هو أن يضمن المتكلم كلامه إما آية من الكتاب العزيز، وإما حديثا، وإما قاعدة علم من العلوم (70)" وبذلك فإن التعريفين يوسعان من دلالة الاقتباس حين لا يقصرانه على النص القرآني أو الحديث النبوي الشريف فيتجاوزان به إلى أقوال العلماء في كل علم من العلوم.

يرى التنسي أن الاقتباس تارة يوافق معناه معنى المقتبس منه، وتارة يخالف معناه معنى المقتبس منه.

فمن أمثلة الموافق قول الحريري: " فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب " فإنه كنى به عن شدة القرب، ولذلك المعنى هو في الآية الكريمة.

ومن أمثلة المخالف لمعنى المقتبس قول ابن الرومي يخاطب رجلا كان قد مدحه فلم يثبه، كامل:

لئن أخطأت في مدحك ما أخطأت في منعي

لقد أنزلت حاجتي بوادي غير ذي زرعي

فكأنه كنى به عن الرجل الذي لا يرجى خيره، ليس ذلك هو المراد في الآية الكريمة.(71)

ومن الثابت أن اللجوء للاقتباس قد يكون لأغراض السمو بالدلالة لحد بلاغي رفيع لا يبلغه الخطاب العادي الشئ الذي يسهم في تبليغ الرسالة على أكمل وجه وأتمه . فأما الاقتباسات الفقهية فلا نراها تبلغ في قيمتها التعبيرية ما تبلغه اقتباسات القرآن والحديث لما يغلب عليها من تجريد ونزعة عقلية.

وقد يكون **الاقتباس** من علم التراكيب **syntaxe** - ، قال التنسي :" وأول من اخترع ذلك أبو الطيب المتنبي حيث يقول مخاطبا سيف الدولة بن حمدان طويل:

نفيت الليالي كل شئ أخذته وهن لما يأخذن مـــــنك غـــوارم

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعا مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم(72)"

وبذلك فإن الغالب على هذا الخطاب هو الطابع النفعي الذي يهدف من ورائه إلى تبليغ مضمون الرسالة دون تأنق أو صياغة جمالية.

وقد ختم التنسي هذا الباب الذي خصه للبلاغة بقوله :" **هذا آخر ما أردنا ذكره في هذا**

القسم، وقد بقيت من محاسن الكلام وجوه لم يتصرف البلغاء فيها تصرفهم في الأنواع التي ذكرناها، فتركنا التعرض لها لأجل ذلك والله الموفق بفضله. (73)"

ومن الملاحظ أن الأبواب التي درسها التنسي تقع ضمن علم البديع، وبالتالي فإنها تتعلق بأوجه التحسين في الخطاب الشعري، ولها وظيفة معتبرة من منطلق اللسانيات النصية - **linguistique du discours** تتلخص في الربط بين عناصر الخطاب الأدبي،وإحداث اتساق بين مكوناته الدلالية فأما عناية التنسي بالبديع فلا يمكن إرجاعها إلا لإقبال أهل المغرب عليه، وانصرافهم عن نوعي العلمين المتبقيين . وقد حاول ابن خلدون ت 808 للهجرة أن يفسر تلك الظاهرة بقوله «:وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية وفرعوا له ألقابا وعددوا أبوابا ونوعوا أنواعا وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب، وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ، وأن علم البديع سهل المأخذ .وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما (74) "ونظن أن العناية بالجوانب الشكلية التي تفرض الحرص على لغة ذات عبارات فخمة، وكلمات رنانة يحكمها الجرس الموسيقي هي التي أسهمت في تقديم الأصباغ البديعية على النوعين المتبقين من علم البلاغة وهما علم المعاني وعلم البيان.

الهـــوامـــش

(1)- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان،1968 ،6 ،.513

(2)- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ،ط 2دار الكتب الحديثة ، مصر ،1966، 1 ، 342 .

(3)- المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، د .ت ،2 ، 312 .

(4)- مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان للتنسي ، تحقيق محمود بوعياد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 ،ص. 9

(5)- المصدر السابق، ص10، وراجع نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس2 ،574

(6)- نفح الطيب 6 ، 195 ، نقلا عن مقتطف من نظم الدر والعقيان ،ص . 10وهناك إشارة ثالثة وردت بنفح الطيب لعلها تؤكد ما ذهب إليه محمود بوعياد ، وهي ما يرويه المقري عن " شيخه العالم أبي عبد الله التنسي عن والده حافظ عصره سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي ثم التلمساني الأموي " ينظر نفح الطيب2 ، 574 .

(7)- محمد بن عبد الله التنسي ، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان تحقيق محمود بوعياد ، 1985 ،ص 12 .

(8)- أبو عبد الله محمد بن محمدّ بن أحمد بن مريم ، البستان ، تحقيق محمد بن أبي شنب ، ديوام المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص. 248

(9)- ولتأكيد هذه المسألة يرى محمود بوعياد أنه " لم يذكر المترجمون له أنه غادر عاصمة بني زيان " ينظر ، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ص13.

(10)- ينظر ابن مريم ، البستان ،ص 249 ، ومقتطف من نظم الدر والعقيان ، التقديم بقلم محمود بوعياد ، ص 11 . مع العلم أن هذه السنة توافق أحداثا جساما كانت تمر بها مملكة بني زيان.

(11)- انظر على سبيل المثال مبارك الميلي وكتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث مكتبة

النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 1963 ، 2 ، 382.

(12)- ينظر البستان ،ص 248 ، ومقتطف من نظم الدر والعقيان، ص14.

(13)- البستان، ص 148.

(14)- محمد بن عبد الله التنسي، مقتطف من نظم الدر والعقيان، مقدمة المحقق ص16.

(15)- المصدر السابق، ص24.

أورد ابن مريم المؤلفات السالفة الذكر المنسوبة للتنسي، وفيها بعض التحوير على الوجه التالي ، قال ابن مريم ": وله تآليف في الضبط أي في رسم الخراز سماه الطراز ، وله راح الأرواح فيما قاله أبو حمو ، وقيل فيه من الأمداح وسمعت أن له تعليقا على ابن الحاجب الفرعي ،وله جواب مطول عن مسألة يهود توات أبان فيه عن سعة الدائرة في الحفظ والتحقيق " البستان ،ص 249.

ونود أن نلفت النظر مجددا إلى أن من المؤرخين من عنون كتاب التنسي - نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان - عنونه بنظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك منهم في سالف الأزمان . ينظر المصدر السابق ص. 34

(16)- المصدر السابق ،ص. 108

(17)- المصدر السابق، المقدمة، ص.107

(18)- المصدر السابق، المقدمة، ص.108

(19)- المصدر السابق ، ص 40 ، 41، وراجع الجانب الأدبي من مخطوطة الحافظ التنسي التلمساني ، نظم الدر والعقيان ، تحقيق بوطالب محيي الدين ،ص 57 وما بعدها (20)- مقتطف من نظم الدر والعقيان ،ص 19.

(21)- ينظر محمود بوعياد ، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان ،ص 18 ، نقلا عن الجانب الأدبي من مخطوطة الحافظ التنسي ، نظم الدر والعقيان ،ص. 42

(22)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ، تحقيق بوطالب محيي الذين ،ص 131.

(23)- المصدر السابق، ص131.

(24)- مفتاح العلوم تحقيق عبد الحميد هنداوي ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،2000 ،ص 357 .

(25)- المرجع السابق، ص.357

(26)- إنعام فوال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ، مراجعة أحمد شمس الدين ، ط2، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ، 1996 ،ص 357 .

(27)- المرجع السابق، ص357 ،.358

(28)- ينظر الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص133.

(29)- ينظر المصدر السابق ،ص 143.

(30)- صلاح الدين الصفدي ، جنان الجناس ، تحقيق سمير حسين حلبي ،ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1987 ، ص 35.

(31)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،143.

(32)- المصدر نفسه ،ص 144.

(33)- جنان الجناس ،ص 45.

(34)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص 148 " بتصرف " وقال الصفدي أثناء عرضه لهذا القسم- الجناس المركب وهو يجئ بحسب الاستقراء على وجوه:

"منها أن يكون أحد ركنيه مركبا من جزئين مستقلين وهذا النوع يسمى المفروق ، وهو ينقسم إلى أقسام ...

ومنها أن يكون أحد ركني الجناس مركبا من جزء مستقل، وجزء هو بعض كلمة ، وهذا يسمى المرفو "ينظر جنان الجناس ،ص 53، 56.

(35)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص 154 .

(36)- ينظر نظم الدر والعقيان ،ص 156، 157.

(37)- ينظر الجانب من نظم الدر والعقيان ،ص 177 .

(38)- المصدر السابق، ص.182

(39)- المصدر السابق، ص185.

(40)- المصدر السابق، ص187.

(41)- المصدر السابق، ص.145

(42)- المصدر السابق، ص145.

(43)- المصدر السابق، ص177.

(44)- المصدر السابق، ص193.

(45)- مفتاح العلوم ،ص 537.

(46)- المعجم المفصل في علوم البلاغة ،ص 444.

(47)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص200 .

(48)- بدر الدين بن مالك، المصباح، تحقيق حسني عبد الجليل يوسف،260 ،261

(49)- ينظر الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص200، 201 .

(50)- المصدر السابق، ص213.

(51)- المصدر السابق، ص214،.215

(52)- المصدر السابق، ص.220

(53)- المصدر السابق، ص222.

(54)- عبد المتعال الصعيدي ،بغية الإيضاح ، مكتبة الآداب ،مصر ،1997 ، 4 ، 29

(55)- ينظر الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص 222، 223 ، 224 ، وبغية الإيضاح 3 ، 29 ، 30،31 .

(56)- ينظر الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ، ص 226، 227.

(57)- المصدر السابق،.229

(58)- المصدر السابق، ص309.

(59)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص 231 .

(60)- المعجم المفصل في علوم البلاغة ،ص 646 ، 647 .

(61)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص 233 .

(62)- المصدر السابق، ص242.

(63)- المصدر السابق، ص244.

(64)- المصدر السابق، ص245.

(65)- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب ، مصر ،1996.

(66)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص 246، 247 .

(67)- المصدر السابق،.248

(68)- المصدر السابق، ص255.

(69)- المعجم المفصل في علوم البلاغة ،ص 195.

(70)- الجانب الأدبي من نظم الدر والعقيان ،ص256.

(71)- المصدر السابق، ص271.

(72)- المصدر السابق، ص278.

(73)- مقدمة ابن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، ط1، دار الفجر، مصر،2004 .